

يوميات علي هامش الحلم

عماد زولي

الكتاب: يوميات على هامش الحلم

الكاتب: عماد زولي

مصمم الغلاف: أمين ابن مرزوق

صاحب الرسمة: عبد العالي مساعدي

Instagram: A_HOP_Z

N: 0675194242

رقم الإيداع القانوني: 2022MO3493

ردمك: 978-9920-40-274-3

مطبعة وراقعة بلال – فاس / المغرب

الهاتف / الفاكس: 05.35.61.86.03

العنوان: رقم 204 شارع المدينة المنورة حي الأمل / النرجس فاس

إهداء

لكل شخص في حياتي لكل من تناول ان
نعبس و نغول النفس الأمرة بسوء الى تلك
النفس المطمئنه و المليئة بالجمال
لكل شخص قام بفعل بسيط من اجلي
او من اجل اي انسان
اهداء لكل من يساهم في نشر الطاقة
الإيجابية و الابتسامه

مقدمة

عزيزي القارئ يجب أن تعلم أن قلبي ليس كأى كاتب، فحبره
الخمير.

مجرد إدراك قبل حلم.

لن أكتب الكثير لأجذب الكثير من الناس مجرد كلمات تحمل في
طياتها الكثير من المعاني تجعل باحة عقلك تتسع، في هذا الكتاب
حوار بين الكثير من شخصيات كل بضع أسطر قد تستفيد قليلا
من بعض الأحاديث والأحداث، صفحاتي قليلة قد تجعلك تتغير
كلياً أو جزئياً...

كتابي قد يكون هديت مني للكل ، أو هديت منك لأحد الأصدقاء
ليس هدفه الربح فهدفه نشر الحب والطاقة في العالم ...

ولدت كما ولد الجميع، أظن أنني بدأت بصراخ أو بابتسامة، لا أعلم، صراع وتناقض بين كل شيء، لكن أكبر التناقضات التي حققت وجودي ربما هي ذلك الصراع الكامن بين عقلي وقلبي، ديني وتقاليدي، وعيي ووعي مجتمعي. أظن أنني لا أحب الضجيج، أكبر وأكتسب و أكتسب وأكتسب حتى أصبحت ما أكتسب ما لا فاختل كل التوازن، أظن أن تفكيري بدأ بتشوش.

هذا ما كان ينطق به شخص ما في وسط الحمام صداه يتكرر على مسمعي. حاولت أن أخرج من وسط ذلك الضجيج، لم أستحم كما يجب. وكما المعتاد، خرجت إلى أقرب بائع ليمون، كان الجو حارا.

فجأة ظهر أستاذ الرياضيات يدرسي قديما أراد أن يمد يده إلى ليموني، فتذكرت حصة في قسمه لما طلب منا تسجيل الأسماء في لائحة للراغبين في الحصول على دروس دعم مؤدى عنها في منزله، باستثناء متطوع واحد رفض الجميع المقترح، فرد بنبرة مهددة:

- سنتفاهم على هذا.

تهديده كان كفيلا أن يدفعنا للانخراط مما زاد عدد المتطوعين. لكن بعدما اكتشفنا بأن أستاذنا ينجز الفروض

المحروسة مع زبائنه التلامذة مسبقا في الحصص الإضافية كما يضيف لهم النقط، نهض جميع التلاميذ قطعاً لسعيه، كما اكتشفنا أن المدير كان يساعده ويدعمه. خططنا أن نضحي بأنفسنا بضع أشهر حتى يتوقف عن العمل، لكن دائما ما تجد بعض الأشخاص أنانيون بطريقة بشعة. سنة بعد سنة، ظهر الفقر على الكل، فانقلب التلاميذ الجدد على المؤسسة بأكملها، أظهروا الشر المكامن بداخلهم، لا أعلم مصير المدير ولكن الأستاذ أصبح يتسول في الشارع ، والأساتذة المتبقون تبتوا في عملهم وأخذوا عبرة.

منعته من أن يأخذ الليمون بلا رحمة. أثارت انتباهي امرأة أربعينية شاحبة اللون، مبتذلة الملابس، مقتضبة الوجه، تصرخ في وجه عامل عند جزار الحي:

- أنا مريضة بداء السكر، أتريد قتلي! ألا تعرف أن تفرق بين

اللحوم! عار وعيب عليك.

لا أحد كان يصغي إليها لا العامل ولا رب العمل، حارس المبنى

جانبه يقطع كلامها بصراخ وعتاب:

- أنت ما زلت حية! خطأ بسيط تريدين أن تضخمي فقط

وتشوهي سمعة السيد، سأستدعي الشرطة وأشهد أنك أنت من

أخطأت في حقه، المرة المقبلة أذهبي عند الجزار المجاور، ستجدين عمالا جيدين ولحوما طرية لكن بثمان مرتفع عن الأثمانة التي يعرضها هذا السيد، لا تكرري هاته الزيارة .

تشوش عقلي أكثر، لا أريد العودة إلى المنزل، أريد أن أكتشف و أتأكد أن الشر هو الذي ينتصر، لا كالأفلام و الإعلام، الكل يظهر الجمال. خطوة تلو الأخرى، بين مقهى ومقهى يوجد مقهى، الكل يستجدي ويسعى و يبحث عن طريقة ليصيب شفقة الآخرين، فتجد امرأة تثير استعطاف الناس بأبنائها، و أخرى بملابسها شبه العارية، ذلك يتكرر دائما، إنها نفس المشاهد.

أحسست أن مفعول الليمون قد أنتهى، حاولت أن أعود إلى المنزل رغبة في الهرب من الضجيج ومن تلك الأفكار التي تشوش عقلي و اشمئزاي من المجتمع.

عند عتبة الباب خلعت حذائي، فتذكرت أمي كم كانت تزعج حين لا أخلع حذائي. كان المنزل خاليا كالمعتاد، كل شيء فيه يذكرني بأبي و أمي، أترحم عليهما وأكمل الدخول إلى المطبخ، أطبخ وأبكي وأصبر نفسي.

الماضي يسكن بداخلنا، نحيا به، ولكننا لا نقبض عليه في لحظة الحاضر و لا نعيده إلى الحياة لنعيش المشاعر ذاتها، أو

نصلح خطأ، أو نتراجع عن قرار، أو ننفذ قرارا، و من هنا يأتي الوجد و التحسر على ما فات و مات و بقيت ذكرياته.

مازالت أفكارى مشوشة، صوت الأخبار من التلفاز كالمعتاد، البعض عبارة عن إنجازات و البعض الآخر مشاكل، أظن أن جميعها معدودة، لا يجب أن نصدم أو نفزع، فقط سرقة و حادثة سير و قتل و موت و ... بطرق مختلفة.

هاتفى یرن، أفزعنى وأيقظنى من سهوى، أجبته بعد أن أدركت أنه زبون:

- مرحبا سيدي.

أجابني الزبون:

- كيف حالك، من فضلك طلي لم يصلني بعد .

أجبته:

- اليوم الجمعة لا نعمل سيدي، غدا إن شاء الله سيصلك .

فاعتذر مني الزبون:

- نعم، أسف لم أنتبه.

غدا سيكون مرهقا بالنسبة لي، أعمل وحدي، أقوم بكل شيء

قصدت مكثي البسيط، أتصفح الطلبات الجديدة على الموقع الإلكتروني التجاري الخاص بي، أرتب مواعيد التوصيل وأجيب الزبائن عن الأسئلة الاعتيادية، البعض يسأل عن الثمن و الأخر يسأل عن المكان وهكذا.

في اليوم التالي، استيقظت باكرا ال 5.00 بعد الصلاة، حضرت الفطور و سقيت بعض النباتات في النافذة. بدأت أنضم وأرتب السلع وأضع بعض التزيين لكي أجعل الزبون سعيدا وراضيا، كطريقة تغليف البضاعة ووضع هدية بسيطة. وضعت الطلبات على دراجتي ثم انطلقت.

أوصلت الطلب الأول، كان صاحبه ينتظرني بجانب الشارع، قابلته بابتسامة كالمعتاد، كما أضفني خمس دراهم بقشيشا. الطلب الثاني كان صاحبه مراهقا، اتصلت به لأخبره أن يأتي أمام منزله، بضاعته تحتوي على ساعتين لعشيقين، سلمته إياهما بابتسامة، وأضفت كلمة:

- حبا سعيدا .

وقلت في خاطري:

- اللهم قوة الحب بين الشباب، فيهم أعيش .

الطلب الأخير صاحبه لم يأت، اتصلت عدة مرات، أظنه لم يعد يريد الطلب، فقامت بتسجيل أسمه، حتى لا يتلاعب بي مرة أخرى.

عدت إلى المنزل، كنت جائعا بعض الشيء، مر شخص من الزقاق يقول:

- اللهم اجعلنا من أهل النفوس الطاهرة والقلوب الشاكرة والوجوه المستبشرة بالباسمة، وارزقنا طيب المقام وحسن الختام ودار السّلام. اللهم اقسم لنا من حظوظ الدنيا وخيرات الآخرة واكتبنا من السعداء المعتوقين وممن حرمت وجوههم عن النار. كان مشهدا بسيطا جعل وجهي تعرض عليه ابتسامة خفيفة و الطمأنينة تتدفق إلى قلبي، كان ذلك الدعاء كفيلا أن يزيل كل التشويش عني. الجو حار، أخذت قارورة ماء و نصف خبزه و أعطيته إياها .

سمعت أحدا من النافذة يقول:

- الصدقة تكتم بسر، فقد لا تحتسب.

أجبتة مبتسما:

- أخي، الله أعلم بنيتي وهو من يجزييني على أفعالي، علينا أن

نعطي الصدقة أو نفعل معروفا خوفا من الله وتقديرا لإنسانيتنا .

أغلقت الباب و أكلت نصف الخبزة المتبقي مع الشاي، النوم بدأ يتسلل لعيناي، أغلق عيناي بالتدريج، حتى أصبحت في حلم، حلم كأنه حقيقة. هناك فتاة جميلة من خلفي، منزل مخيف أمامي، رغم أنه حلم لم أدركه حتى استيقظت، بعدها بدأت أفكر، ماذا يعني أننا في حلم! هل هناك إدراك آخر! أسئلة تأتي من العدم، أسئلة فلسفية ودينية مختلفة أريد أن أعرف إجابتها. أخذت قلمًا و بدأت أكتب، وهنا سأنتقل من كلام مشوش إلى عالم آخر وهو إدراك قبل حلم. هنا ولدت من جديد، حياة أخرى، أشياء جميلة. وضعت عائلة وأصدقاء، صنعت عالمي، وضعت جزءًا من تفكيري فيه، وبدأت بالانتقال بين الأوراق بالحر.

بعدما انتهيت قررت أن أخرج للحديقة المجاورة، كان الحزن يستجيب إحساس عيني بالبكاء، جلست على الأرض التي نتفت بعض حشائشها واصفرت. كان بعض الأطفال يلعبون من حولي فالتفت و كنت أتأمل حركة أحدهم يحيي ظهره على الأرض، يبدو أكبرهم سنا بينما الباقي يقفز. أحسست أن أحدا يراقبني، ألتفتت فوجدت عجوزًا تحديق إلي بطريقة غريبة، لم أهتم لها ولم أتحمل ضجيج الأطفال من حولي، غيرت المكان إلى الضفة الأخرى، متكئًا

على شجرة ذات ظل كبير، فجأة رأيت سيارةً سوداء تحمل جميع التفاصيل التي أخبرتني عنها سارة، و قد نسيت لم أخبركم عن سارة هي ذاك الحب الخفي، سارة هي الفتاة التي يمنعي كبريائي من الوصول إليها. أشد حزني وقلت بصوت مرتعش:

- تبا لحظي، لكبريائي وتبا لحبي هذا.

أذن المؤذن لصلاة الظهر، كان المسجد قريباً من الحديقة التي أتواجد بها بضع خطوات فقط، القلق سرق متعة يومي، لكن الصلاة ستريحني بإذن الله. دخلت المسجد، توضأت ثم صليت ودعوت الله قليلاً. وأنا في طريقي للمنزل أسمع من خلفي صوتاً ينادي بسعي، ألتفت فوجدته أيوب صديقي يرتدي ملابس رياضية، يصرخ قائلاً:

- هيا يا سمين.

لم أتردد قلت له:

- هيا معي لكي أرتدي ملابس الرياضة.

في طريقنا للمنزل بدأت أخبره بما حدث معي قبل أن يأتي و أيضاً سارة التي أحببتها.

قال لي وعيناه في الأرض:

- في البداية ستخبرك أنها راضية بك على ما أنت عليه من فقر وبؤس، راضية تماما عن اضطراباتك وشخصيتك الغريبة وشكل وجهك الذي لا يشبه أي شيء، ولا يحس الواحد منا بأي شعور حين ينظر له، ستقنعك أنها مهووسة بتفاصيلك و بعمقك الذي لا حد له، بفكرك ولا يهتمها إذا كنت ذا جاه ومال، تهتمها غرابتك انطوائيتك عزلتك غير المبررة وصمتك الرهيب.

وصلنا أمام المنزل المتكون من أربع طوابق، الطابق السفلي بيع من أجل زفاف أخي وبعض الديون، أما الأول يقطن به عمي محمد وأسرته الصغيرة، أما الثاني وفي كل غرفة من غرفه حكاية خاصة وسرٌّ عائلي جميل، وبوح لا يعرفه إلا جدران المنزل وأهله، وفيه أيضًا يجتمع الأخوة عندما يأتون إلينا، أخي الأكبر عمر وأبنائه مايا وسعد وزوجته والأخ بدر حديث الزواج، زوجته لمياء تعمل في مجال التعليم. إخوتي عمر وبدر كلاهما يعملان في السلك العسكري، أما أنا ما زلت أعزب، أدرس وأعمل قليلا في التجارة الإلكترونية أما أخي الصغير لم يلتحق بالمدرسة بعد. الطابق الرابع حديث البناء يوجد به غرفتان، غرفة خاصة بي والثانية لأخي بدر، وباقي المساحة شرفة أحتمي فيها فنجان القهوة الخاص بي في المساء تحت ضوء النجوم أتغزل بجمال القمر. قلت لأيوب:

- انتظرنى هنا، سأرتدى ملابس الرياضة بسرعة.
صعدت السلالم مسرعا إلى الأعلى، لم أستغرق وقتا طويلا،
خمس دقائق تقريبا إرتديت كل شيء، وأنا في طريقي إلى الأسفل
أسمع زوجة عبي محمد من الطابق الأول تناديني:

- يا عماد إلى أين أنت ذاهب!؟

أجبتها قائلا:

- لأمارس الرياضة مع أيوب يا زوجة عبي.

ردت قائلة:

- لا تتأخر فلدينا ضيوف في المساء، أنا أحتاج لبعض

الأغراض يجب أن تحضرها.

قلت لها:

-أخبريني بما سأأتي به.

ردت علي:

- دون عندك: زيتون أسود، غسول اليد والإبراز .

إنهيت من التدوين، نزلت إلى أيوب لكي نأخذ مسلكا خاصا
بالجري، كان الإختيار هو الأماكن الخضراء الجميلة فقط بضع
أزقة وسنصل إليها فمدينة خنيفة (أو الحفرة كما يلقبها سكانها
لكونها محاصرة بالجبال من كل جهة) مدينة صغيرة إلا أنها ذات

تاريخ عظيم إذ تعتبر عاصمة قبائل زيان الأمازيغية، كما تحتوي على عدة غابات تتميز بالتنوع النباتي البيولوجي.

انطلقنا بالجري من أمام زقاقنا، وأنا ألهث، قلت لأيوب:
- أتمم ما كنت تقول بشأن الحب.

أجابني وهو يلهث، كلامه ينقطع، صوته يتناغم مع حركة
أقدامه:

- في النهاية ثق أنها ستعلم منك، لا حاجة لها بك أصلا، لم تعد تغريها قط، لأنها لم تحبك أصلا، أحببت الجانب المظلم منك، أحرقت الجدار الذي كانت تنبش فيه لكي تصطدم بالفراغ الموجود بداخلك، انتهت من أحاديثك وأسرارك لم يتبق فيك شيء، سيسيل غباء سخافتك وستدرك أنك استنزفت وأجهضت جهدك ونفسك للبوح والاستماع، سيتجسد تمثال عقلك التافه ويجلس بجانبك لتتبادلا كل أنواع الشتم وفي الأخير ستجد أنك فزت بمعرفة نفسك، ودماغك سيتفتح.

أجبتة وأنا أضحك، وأنا أتصعب عرقا:

- توقف لنقم بتمارين اليوغا، أه كيف أصبح وعيك من كثرة

الألم.

تذكرت طلب زوجة عمي محمد، لم تكمل الحركات عدنا مسرعين، ذهب إلى منزله و أنا أتممت إلى المقهى الذي يتواجد به عمي لأخذ النقود. لم أتأخر بالأغراض، قدمتها لزوجة عمي ثم ذهبت للاستحمام.

الشمس بدأت بالغروب، صعّدت إلى غرفتي فقمّت ببعض الواجبات المدرسية وأنا أحتسي كوبا من الشاي الأخضر كالعادة فهو يحتوي على العديد من مضادات الأكسدة من مادة (البوليفينول)، و التي تقلل من مستوى التوتر والقلق عن طريق زيادة مستويات (السيروتونين) بجسدي. أهيت واجباتي وقصّدت مكان نومي وهاتفني لكي أتفقد مواقع التواصل، كل شيء كما هو لم يتغير شيء، كالعادة فضائح و جرائم، نفس الأخبار، أجبت على بضع الرسائل. شعرت بالملل حاولت أن أتغلب عليه بتوظيف الخيال في رسم صورة عن المستقبل أحقق فيها ما أطمح إليه، حيث أضع في مخيلتي كلّ ما أصبو إليه وأجرب كلّ شيء ليسهل علي تطبيق ما أريد وفي بعض الأحيان أيضا أطلع الكتب والقصص وأحب اكتساب المعرفة وأيضا التعرف على العلوم المختلفة أو أقوم بتغيير ديكور الغرفة أو المكتب وإضافة لمسات جديدة بألوان زاهية وأقوم بمتابعة التلفاز في حال كان هناك

برنامج أتابعه باستمرار وقت الترفيه، أما الجلوس أمام التلفاز، تغيير القنوات بلا جدوى يزيد من شعوري بالملل والضجر وتضييع الوقت.

أذان العشاء لفت انتباهي، لم ينتهي حتى أتممت الوضوء، أخذت السجادة وبدأت الصلاة. زوجة عبي محمد تنادي من الأسفل، وأنا أحاول أن أخبرها أنني أصلي بالتصفيق. عندما أتممت الصلاة سمعت صوت عبي عبد السلام وزوجته وأبنتهما في مثل عمري. اجتمعنا على الطاولة، زوجة عبي محمد في المطبخ تقوم باللمسات الأخيرة ونحن حول الطاولة، أعمامي يتذكرون أشياء مضحكة صادفوها معهم في الماضي. كنت أبتسم طوال الوقت، فالسعادة هي عندما تجتمع الأسرة، كنا نضحك حتى وقت متأخر.

لم أتردد سألت عبي عبد السلام المتقاعد من الجيش مبتسماً:

- هل خلف الضحك الكثير هموم وأحزان أكبر؟

أجابني قائلاً:

- قرأت وسمعت بأن الضحك نتيجة لمعاناة الشخص من أعراض الاكتئاب كالشعور باليأس والحزن العميق، وبذلك

يحدث عنده رد فعل حيث يقلب شعوره إلى شعور عكسي ووفق

ميكانيزم دفاع نفسي فالضحك يفضح ما بداخلنا."

تذكرت ما قال سارتر، علقت على كلام عمي قائلاً:

- إن معرفة الغير غير ممكنة إذا نظرنا إليه كذات، لأن هذه

المعرفة تقتضي تحويله إلى موضوع والنظر إليه كشيء، أي نفي

الخصائص والمقومات الذاتية الإنسانية عنه كالوعي والحرية

والإرادة ... وبالتالي فمعرفة الغير ممكنة فقط باعتباره موضوعاً /

جسداً غير أن الغير ليس جسداً بل ذاتنا.

تدخلت أبت عمي عبد السلام:

- لا تنسى ما قاله (ميرلوبينتي): معرفة الغير ممكنة عبر

تواصل حي ومباشر يمكنني من التعرف على أفكار الشخص.

معرفة الغير ممكنة عبر التعاطف أي المشاركة الوجدانية و ذلك

باستحضار الشخص لأحزانه أو أفراحه من أجل معرفة أحزان أو

أفراح الغير.

تدخل عمي محمد وفمه مليء بالطعام:

- أضحك كلما استطعت، فالضحك دواء مجاني.

زوجة عمي محمد من الباب تحمل في يدها اليمنى صحن

فواكه وفي يدها الأخرى منديلاً لكي تمسح المائدة. قامت زوجة عمي

عبد السلام بمساعدتها. بدأ أعمامي بالحديث عن بعض الديون. غيرت مكاني إلى جانب ابنة عمي سلمى سألتها عن حصص البارحة بحكم أننا ندرس في نفس القسم. أخبرني أنهم أنجزوا تمريننا في الرياضيات وفي نهاية الحصة كلفهم الأستاذ بإنجاز الباقي من الصفحة ثمانون. طلبت منها أن ترسل لي التصحيح بعد عودتها لمنزلهم. بعدما انتهينا من العشاء، ودعت الجميع ثم صعدت إلى غرفتي.

اليوم الاثنين، استيقظت على صوت المنبه، تناولت فطوري، كوباً من شاي وقليل من الخبز مع الجبن ثم غادرت المنزل وفي يدي حقيبتني. رغم أنني أسرعت في طريقي للمدرسة إلا أنني وجدت حارس الباب يريد أن يقفل. الحمد لله سمح لي بالدخول، وصلت إلى باب قسم الرياضيات وأنا ألهمت، نظر إلي الأستاذ بنظرة مخيفة قائلاً:

- هيا أسرع، لم تأت يوم الجمعة ما بك؟!

و أنا ذاهب إلى مقعدي أحاول إقناعه بكذبة:

- قد كنت مريضاً يا أستاذي.

أظنه صدقني، إلا أنه كلفني بإنجاز تمرين على السبورة، حينها تذكرت أنني لم أتفقد التمرين الذي طلبت من سلمى أن ترسله لي،

ولم أنجز التمارين المنزلية. نظرت إليها مبتسما وأنا أعض شفتاي. حسنا، سأحاول. وضعت محفظتي على الطاولة و أخرجت دفترتي وأقلامي ثم قمت إلى السبورة، الخوف والتوتر يغلب علي، لم أستطع التركيز وزملائي من خلفي يجيبون بهمجية. بعد لحاضت فقط طلب مني الأستاذ العودة إلى مقعدي وهو يقول:

- عد إلى مكانك، يجب أن لا تتغيب عن حصصك أبدا إذا أردت النجاح.

ثم هم بتصحيح التمرين وشرح الدرس.

رن الجرس أخيرا، كم انتظرت هاته اللحظة يا إلهي. لازالت تنتظرني حصة الفيزياء، تفصلني عنها خمسة عشرة دقيقة.

خرجت مع سلمى نتحدث عن الدرس ومن خلفي أحد يقول:

- لن تنتهي من التعلم وهذه المؤسسة حتى تنتهي حياتك.

استدرت وقلت له:

- إذا سأضيف إلى قانون الحياة أن الحياة هي مدرسة أو غاية

طلب العلم.

مرت الحصة كالعادة، بعدها علمنا أن أستاذ الإنجليزية

مريض إذا لن تكون هناك حصة اليوم.

عند وصولي إلى المنزل كان الجو حارا مغريا للنوم، قصدت
وسادتي مباشرة بعد أن خلعت حذائي وأغلقت جميع منافذ
الضوء، إنطلقت رحلتي في الأحلام لتدخل في سبات عميق معلنا
إستسلامي الكامل لقوة الأحلام. الحلم بدأ بالانسجام مع المنطق.
في السطح مرتفع تلاحقني مافيا يرتدون الأسود، يطلقون من خلفي
بالرصاص وأنا أحاول أن أضلل طريقهم، أدخل بين الملابس
المعلقة على المناشر، حتى وصلت إلى آخر السطح. الموت من خلفي
ومن أمامي، إستدرت إلى المافيا وكنت أمشي نحو الخلف ويدي
مرفوعة للسماء خطوة تلو الأخرى. أطلق أحدهم رصاصة فهلعت
وقفزت من على السطح، لم أتمم السقوط حتى وجدت نفسي
أرتعش رعشة غريبة، سقطت من السرير فاستيقظت وقلبي يكاد
أن يتوقف من شدة الهلع، أحاول أن أهدئ نفسي. شربت كوبين
من الماء وفتحت النوافذ، شمس في بداية غروبها.

هاتفني يرن، مباشرة أجبت على المكالمة دون أن أنظر إلى من

المتصل:

- مرحبا عماد.

أدركت من خلال صوته الخشن أنه يوسف، سألته عن حاله:

- كيف حالك؟

أجابني:

- بخير عندما أتحدث معك، أنا في المقهى أنتظرك وأنتظر
المباراة.

أرتدي ملابس و أبحث عن مفاتيحي في آن واحد، ما زال
ضحيج الحلم يدور برأسي. إنتهيت من كل شيء وألقيت التحية
على زوجة عمي محمد بعد أن أجبتها عن سؤالها الدائم:
- إلى أين أنت ذاهب!؟

اسم المقهى باريسيتا هي كلمة إيطالية، وفي إيطاليا البارستا
هو الساقى ذكرا أو أنثى، والذي يعمل عادةً خلف منضدة،
وقدم المشروبات الساخنة والمشروبات الباردة والوجبات
الخفيفة... وهي مهنة من أهم المهن في العالم ولها بطولات عالمية.
في هذا المقهى تعمل ياسمين كساقية، هي فتاة عسلة العينين
داخل بياض وهاج، طويلة العنق، سمراء اللون، رشيقة، شعرها
كموج البحر عندما تتحرك يصل إلى منتصف ظهرها، أعجز عن
وصفها. وأنا منمهر بجمالها وقلبي يلغي وجود كل من حولها، إذا
بصوت يوسف يقطع المشهد وينتزعي من كوكبي. قصده ثم
جلست بجانبه، كان المقهى مليء كعادته، ألقى التحية على
بعض الأشخاص خلفنا وجلست مبتسما.

وأذا بها تقف علي:

- مرحبا، ماذا تريد أن تشرب؟

أجبتها متلعثما:

- نعم، نعم قهوة كالعادة.

لم أتمكن من إطالة النظر في عينيها، دونت الطلب ثم رحلت.

قال يوسف بصوت مرتفع يبدو عليه القلق واليأس:

- يا أخي، هذه الفتاة تستحق أفضل من هذا العمل بكثير.

تدخل أحد الجالسين في المقهى:

- صاحب المقهى لا يدع زوجته ولا ابنته تخرجان لكي لا ينظر

لهما أحد.

علق شخص آخر:

- مرحبا، أعتذر عن التدخل، أريد أن أشرح أمرا

مهما، ياسمين تعمل هنا من أجل لقمة العيش، قد تكون فرصة

العمل الوحيدة التي أتاحت لها.

لم أتحمل كثرت الكلام، قاطعت كلامهم:

- يا إخوتي، إنه أمر طبيعي جدا، فقط عقولنا هي المشكل

الأكبر. ما الفرق بينك وبينها! هي تعمل ونحن ننظر فقط، يبدو لي

أننا تبادلنا الأدوار. هناك مثل أمريكي يقول أن المستقبل يعتمد

على الأنوثة، أي أن الرجل سيلقح فقط مثل النحل، ودليل على ذلك، أنظر إلى نسب الأجناس، ستجد نسبة الإناث أكبر من نسبة الذكور.

لم يرد علي أحد، أعلم أنهم لن يتقبلوا كلامي. شربت كوبا من الماء ثم أتممت حديثي:

- ولا ننسى أيضا دور العنصر النسوة في مجال التسويق والأعمال وفي كل المشاريع بحيث تجلب الأنثى الزبائن أكثر من الذكر وتجذب انتباه الناس، مما يجعل أصحاب الأعمال يطلبون الفتيات للعمل أكثر من الذكور.

أبتسم الجميع. لمحت ياسمين وهي في طريقها إلي تحمل القهوة، قالت وهي تبتسم:

- تفضل، بالصحة والعافية.

لساني التوى كعادته:

- شكرا لك.

رائحة القهوة ذكرتني بشعر أبي نواس، يقول في وصف القهوة:
"دع عنك لومي فإن اللوم إغراء وداوني بالتي كانت هي الداء
صفراء تضحك فيها الشمس تحسبها تبرا يذاب ومسكا عقه الماء

أباحها الشرع لا سكر وعريدة فمالها وماء العين أكفاء ترغي وتزيد
فوق النار في غضب كأنها ولهيب النار أ

عداء في أهيف من أباريق منعمة كأنها في اختناق..."

تذكرت الحلم فجأة، فلم أتردد أخبرت يوسف عن القفز
وكل شيء. كان الآخرون بجوارنا يستمعون، قاطعني أحدهم:

- يا صديقي! أقنعني أنك موجود وأن العالم الذي نعيش فيها
حقيقة وليس مجرد وهم ذو طابع واقعي. أثبت لي أنك إنسان واع
بعالمه الخارجي. الإجابة كانت على طرف لساني:

- دعني أصفحك كل يوم ثلاث صفعات ولا تغضب مني لأنني
أصفحك وهما وليس حقيقة. أعطني مالك وكل ما تملك فأنا أخذه
منك افتراضاً.

تدخل يوسف قائلاً:

- أنا أعي عالمي الخارجي، شعوري بواقعي الأليم، بمرارة
العيش من غلاء الأسعار، من الحرمان، من الطلبات التي لا تنتهي
إلا بانتهاء الطالب أو المطلوب منه من النفاق الذي أراه على أفواه
الناس من التملق الذي تعيشه البشرية، من ذهابي إلى المخبزة
والأولاد ينتظرون رغيف العيش. أليس هذا واقعا تعيشه أنت وأنا
والجميع؟ أم أنت يأتيك كل شيء على طبق من ذهب! ألا تعي ما

يحدث حولك! ألا تعي أنك في سريرك الصديء! أم تنام في سريرك
الوثير!؟ ألا تعاني من برد الشتاء القارص ولا تستطيع شراء حطب
المدفأة!؟ هل هذا كله واقع غير حقيقي وخارج عن إرادتنا!؟

نطق شخص من خلفنا، يبدو انه في عقده الرابع:

- قبل التطرق لمسألة الإقناع أو عدمه، يجب أن نوحده
الرؤية على مفهوم الوجود، وما محل كل شيء لم يكن سابقا،
أكان ثم تلاشى. هل الوجود وجود مادي مرجعه الإنسان، أم
الوجود مستقل على الإنسان كمرجع. وما محل الموجودات
والحيوانات. وكما قال ديكارت: "إني أثبت وجودي عندما أفكر أو
أكون في حالة الوعي التام". نعلم أن الفلسفة وضعت الإنسان
كجوهر الدراسة، لكن هناك مفاهيم كالمثال الذي ذكرنا، يجب
إعطاء استقلالية لها من حيث المفهوم ثم استخلاص علاقته
بالإنسان. ما يعني أنه يجب توحيد مفهوم الوجود وعدم تضييقه
ككون لصور المرئيات، لسنا آلهة ليُنسب إلينا المرجع في تحديد
الموجودات على حسب حواسنا فقط، يجب تمديده ليشمل كل ما
هو مجرد ولا يلزمه التشكل أو التجسيم، يجب إعطاء مفهوم
شامل كأرضية موحدة للاشتغال عليه. بعدها نمر إلى مفهوم
الحقيقة، هل هي تطابق الشيء مع المنطق والعمليات

المنطقية، أم يمكن إدراج مفهومها أيضا على الأشياء التي لم يتوصل الإنسان بعد إلى مدى صحتها أو مدى روابطها المنطقية التي تؤدي إلى صحتها كالحسيات الرياضية أو الرؤى وكيفية نشوئها وتطابقها مع الواقع... لم ينه كلامه حتى بدأت المباراة. ألتفت الجميع إلى التلفاز، فريقان يدخلان إلى الملعب، أحدها يرتدي الأخضر والآخر يرتدي الأحمر. جو جميل، غيوم، دخان نيران الجماهير. الجميع بدأ بالتركيز على المباراة. معلق يهيم الأسماع بين الشوطين. أخبرني أحد بين التلة، والذي يبدو أصغرهم سنا أن أخاه عندما ينام يتكلم أثناء نومه. انتهت المقابلة بانهزام الفريق الأحمر، أصبحت الحوارات تنبعث من خلفي. سمعت أحدا يقول:

- لعب بحرارة كبيرة، لكن نقص الخبرة جعله يخسر لمقابلة. أما الفريق الضيف فعرف كيف يسيرا لمقابلة ويقلب النتيجة، فحظ أوفر للفريق الأحمر في المواعيد القادمة وحظ أوفر للفريق الأخضر في النهائي .

قال آخر:

- حمدا لله على شغب الجمهور، فقد دفع حكم المباراة إلى إيقاف المباراة في الربع، اليوم أحببت انضباطهم.

علق أحدهم قائلا:

- السبب هم الآباء، لم يربوا أولادهم تربية حسنة كي يحترموا الآخرين، حسبي الله ونعم الوكيل.

أتت التعليقات من الأمام والخلف، أثارني في بعضها تحميل المسؤولية للآباء. نعم، أتفق قليلا، لأنه أولا من الغباء أن تلد أبناءك في بلد لا يوفر أدنى ظروف العيش الكريم، هنا أحمل المسؤولية للآباء. ثانيا، فشل منظومة التعليم والإعلام الضعيف الذي يروج للتفاهات. ولكن، لا أستثني الشباب الذي كان من المفروض أن يرقى بنفسه، فعن أي عاشوراء تتحدثون، عاشوراء كانت بهيجة في الثمانينيات والتسعينيات حتى ولو أنني ضد هذه الطقوس.

نطق أحد من الأمام بصوت منمهر:

- ألا يراعي البعض منهم ان مثل أمه، أبيه، أخيه وأخته و حتى زوجته تجلس بين الجماهير، لماذا يتصرفون بهاته الهمجية!؟

صعدت السلالم مرهقا منهكا من كثرة ضجيج المقهى، وأنا في طريقي أسمع صوتا خشنا صاحبه بن عبي أسامة والذي ألقبه بالأسد، تفاصيل جسده تقارب تفاصيل جسد الأسد، وأنا أنزع

حذائي فإذا بزوجة عمي محمد تخبرني بأنه أصبح دركيا ولكي أبارك له عمله، دخلت مبتسما:

- هاي من يزورنا اليوم يا ناس، الأسد يا ناس، أصبح دركيا.

قال لي وهو يضحك:

- اللهم لا تره عذاب المعسكرات، أتمم دراستك يا أخي

وبالتوفيق لك . أجبته:

- يا أخي، أشكر ربك فهناك من لم يجد طرف لقمة العيش،

مبارك عليك، أنا سعيد لأجلك. كيف حالك؟ أجابني مبتسما:

- إن ابتعدت عنك وأنا بخير. قلت له وأنا أداعبه:

- أولا تعلم أن الأسد حيوان!

قاطع عمي حوارنا، يبدو أنه جائع:

- هل من طعام!؟

أجابته زوجته:

- قد أشرفت على الانتهاء.

ونحن في انتظار الطعام، فتح عمي محمد نقاشا مع أسامة

حول المقابلة التي أجراها في الدرك.

- يا أسامة كيف كانت المقابلة!؟

أجابه أسامة:

- كنت من بين المرشحين الذين تم استدعائهم لاجتياز مباراة الدرك الملكي في مدينة مراكش، وقبل، قمت بمجموعة من الاستعدادات مثل البحث حول تاريخ تأسيس الدرك الملكي وضبط بعض المعلومات التي لها علاقة بالمجال واستعددت نفسيا. بما أن المعهد العالي للدرك بعيد عن مدينة خنيفرة اضطررت للسفر يوما قبل الموعد من أجل التعرف على موقع المركز، دون أن أقع في مشكل التأخر عن موعد المباراة وأكون أيضا مرتاحا بدنيا ونفسيا. دخلت إلى قاعة الانتقاء لاجتياز الامتحان، بدؤا يسألوني وقبل أن أجيب كنت أخذ مهلة للتفكير وأتفادى السرعة في الجواب وكانت إجاباتي كلها مدعومة بحجج مما تعلمته من مكتسبات في السنوات الدراسية، وتلك التي قمت بالتحضير لها و أنا أستعد للمباراة. كنت هادئا ومتجاوزا لضغط الجلوس أمام اللجنة بحيث كنت أتفادى الحركات اليدوية. في النهاية تم قبول ملفي من أجل الانضمام إلى صفوف التلاميذ الدركيين الحمد لله. دخلت زوجة عمي وهي تحمل بيدها اليمنى الماء ويدها اليسر الخبز:

- مبروك عليك، اللهم يسر له أمره يا رب.
أجابها الأسد مبتسما:

اللهم أمين يا خالتي، شكرا لك.

انتهينا من العشاء، بدأت زوجة عمي تفرغ لنا الشاي، فإذا بصوت مذيعة الأخبار التلفية تخطف أسماعنا بقولها:
- قتل طفل بعد اغتصابه بنواحي المدينة... خيم الغضب،
التأسف، الحزن والحيرة على المنزل، أصبح الكل يتساءل عن ذنب
الصغير؟ و مصير الوحش؟

قصدت فراشي بعد أن انتهيت من شرب كوب الشاي، لازل
النوم بعيدا عن عيني. هاتفني يغازلني ببعض الهزات، لم أتردد
بفتحه، ولو للحظة، فموت الطفل أحدث ضجة، أصبح الكل
يعلق. حقا، يربني التفكير في شعور طفل يجري اختطافه ثم
اغتصابه وتعذيبه ودق رأسه حتى الموت!

أتخيله مستنجدا بأمه بصرخاتٍ تخفت مع خفوت نبضات
قلبه الصفي، أو بمشاعر فتي يعتدي عليه، ولا يجد من يستنجد،
أو طفلةٍ قد لا تتجاوز الخامسة يعتدي عليها وحش بشري، وهي لا
تفهم ماذا يحدث من شدة الألم والخوف، ويلقيها من السطح، كما
حدث في بلد عربي. لا نسمع عن هذه الجرائم إلا إذا انتهت إلى
الموت، أو انكشفت الواقعة، لكن ما يهزني دائما هو أن الاعتداء
على الأطفال لا يهز المجتمع كفاية، فعائلاتٌ تقو بمعاقبه فتياتها

بالتعذيب أو الضرب والذبح لمجرد شك في أنها لطخت شرفها. وفي حالة الاعتداء على الأطفال لا نجد حديثا عن شرف، إذ لا ينطبق مفهوم الشرف الدنس على الأطفال، وقد يكون من حسن حظهم، وفي المقابل لا أحد يتحدث عن انعدام شرف المجرم، والنتيجة هب أننا لا نجد اهتماما بقدر بشاعة الجريمة. أتساءل: ماذا لو كان أخي أو ابني هو الضحية؟ كيف نميز هؤلاء المجرمين؟! هل يعيشون بيننا؟ هل هم أكثر؟ والسؤال الأعظم هل ثمة حل؟

كنت أسبح في نهر من المال ومن خلفي أسمع نداء باسعي
عمادا! عمادا! عمادا!... فتحت فوجدته أسامة، قلت له مبتسما
وعيني تنغلقان بشكل لين:

- أيقظتني من المال يا أسد.

أجابني وهو يضحك:

- بعد قليل سيحل الليل.

قلت له مداعبا له:

- وما أنت إلا شمس تجعل الليل ينير.

رد علي قائلا:

- أنا لست فتاة يا حيوان، مساؤك سعيد، أنا مسافر، إلى

الشهر المقبل إن شاء الله.

أردت منه البقاء معنا أكثر، لكنها ظروف العمل، والواجب ينتظره، ودعته قائلاً:

- طريقك مليء بالتوفيق والسلامة يا أخي.

اليوم الأحد، أنظر إلى الساعة تعلن وصول الساعة الثالثة بعد الزوال، الهاتف خطفني، أجبت على الخط ووضعتة على أذني ببطء.

- أيوب كيف حالك؟! اشتقت لك، لم تسأل عني منذ زمن.
أجابني وهو يضحك:

- كفى كلاماً، اليوم نلتقي في المقهى الكبير في وسط المدينة نتحاور ونضحك سأمر عندك بعد قليل، إستعد لا أريد أن أتأخر.
لم يتأخر، نصف ساعة بدأ ينادي علي، أجبته من النافذة:
- ها أنا آتٍ، إنتضرني عند الباب.

ذهبنا مسرعين إلى مكان الحافلة، سألته هل ستأتي صديقته وبن عمها. أجابني أنهم بالمقهى.

لم يكمل كلامه حتى أتت الحافلة، كان الجميع فيها يتحدث عن الطفل وعن عقوبة المغتصب، أصبحت أذني تلتقط كل شيء من الأحكام، القوانين والخرافات، غرقت في سهو حتى أيقظني أيوب.

دخلنا المقهى الكبير نلتفت يمينا و يسارا حتى أثارت لمحننا يدا
من الخلف تلوح لنا، سمية السمراء تدرس في مؤسسة تبعد عن
مؤسستنا كثيرا وبن عمها ذو الستة عشرة عاما يضع على أذنه
أقراطا، يتحدث بصوت ألين من سمية. جلس أيوب قرب سمية
وأنا بجانب بن عمها، سألته مبتسما:

- كيف أحوالك مع الدراسة؟

أجابني بنبرة مليئة بالأسى:

- لم أتمم دراستي.

أردت أن أفهم الموضوع أكثر، سألته عن السبب فكان الرد:

- أنا مختلف قليلا.

تدخلت سمية:

- لا تخف من عماد. في الحقيقة، ابن عمي يتعرض للتحرش

من قبل الأستاذ.

راودتني شكوك بأنه مثلي. فلم أتردد سألته:

- هل أنت مثلي؟

أجابني بنبرة مقلقة:

- نعم هل من مشكل؟!

أجبتة:

- لا، أنا لم أقصد شيئاً يا أخي، أنا أتفهمك ولدي صديق
مثلك.

قاطعني أيوب بسؤال:

- ما التحرش؟

أجابت سمية:

- التحرش هو شكل من أشكال الإيذاء الجسدي أو الجنسي
أو النفسي. لكنني حقا اجهل أسبابه فلو كان سببه الجهل، فلماذا
يتحرش الأستاذ والدكتور والمعلم الجامعي؟ ولو كان سببه الفقر،
فلماذا يتحرش رجل الأعمال والميسور والغني؟ ولو كان سببه
التأخر في الزواج، فلماذا يتحرش المتزوج وأب البنين والبنات؟ ولو
كان سببه الكبت الجنسي، فلماذا يتحرش ذو 14 سنة؟ ولو كان
سببه لباس المرأة، فلماذا يتم التحرش بالمحجبة والمنتقبة؟
التحرش الجنسي لو كان سببه جسم الأنثى وقوامها المثير، لماذا إذا
يتم التحرش بالأطفال؟ الموضوع موضوع مبادئ، تقصير في
التربية، عدم الالتزام بالدين، عدم التحكم في النفس، إنه موضوع
أخلاق والخوف من الله ليس أكثر. ما فائدة التعلم حين يتحرش
المتعلم بطالبة؟!

تكلمت مبتسما مباشرة بعد انتهائها:

- سمية، أحب تفكيرك.

ردت علي وهي تبتسم:

- وأنا أيضا أحب تفكيرك وأشكرك على هته المناقشة.

سأل أيوب بن عمها:

- ما شعورك الآن؟

- يمكن أن يكون ذلك أمرا مريحا للغاية، لست مضطرا إلى

إخفاء مشاعري نحو الذين تثق فيهم والذين تعرف أنهم
سيقبلونك كما أنت.

قلت له:

- أقدر تفكيرك أنت أيضا.

وأنا عائد إلى المنزل منهكا رفقة أيوب، أثار انتباهنا رجل عار

من كل الملابس يهلل ويصرخ:

- ألهذا خلقنا الله! لكي يصبح الإنسان أسودا وأحمرا وأبيضا

وألوانا سميتموها! ألهذا خلقنا الله! لكي يصبح الإسلام شيعة

وسنة وصوفية وسلفية والخزعبلات تملؤها خرافات صغيرة

تفرقنا وتحطمنا! ألهذا خلقنا الله! لنغنى! ألهذا خلقنا الله!

ليوهمونا أن الأخ عدوا! ألهذا خلقنا الله! ألهذا خلقنا الله! ليفرغ كل

دو أفكار غبية أفكاره في الناس عن طريق الإعلام! ألهذا خلقنا الله!

لندفع المال المصحوب بالذل! وما قيمة المال وهو فان! ألهدنا خلقنا الله! لكي تتصرف وفق نفسك! فاعلم أنها لا تؤدي بك إلى أي شيء، فقط لأشياء تزيل منك حريتك. أسمعني الآن وأعطيني جزءا من وقتك الذي ضاع هباء منثورا، الذي ضاع في تلك المشاعر. كفاك، كفاك، كفاك ذلك السواد الذي يركل في بقعه من قلبك. كفى، أوقف ذلك الجهل الذي يبني في باحة من عقلك. كفى، كفى، يا من تصنع سلاحا ومرضا من أجل الثراء. كفى يا من تنشئ حربا وتنشر دواؤه، فما قيمة الثراء الفاني؟! كفى يا من تجعل الإسلام ذلا. كفى لا تحاول أن تصلح الآخر، أصلح نفسك أولا، كن عاريا مثلي.

وجدني أيوب منمّرا، كيف يعقل فاقد العقل أن يقول كلاما كهذا؟! يروى أنه كان أستاذا زوجته سحرت له . أظن أنه العاقل ونحن المقيدون في أفكار يفرضها علينا الغير. نرتدي ملابس ليس لسترا لعورة بل لكي يرانا الغير، نتحدث بشكل عفوي لكي نقتنع الآخر، نتحدى الطبيعة من أجل تقاليد. أظن أن كل ما لم يستطع الإنسان حله يلتجئ إلى ما لا يتقبله العقل ليقتنع نفسه، وهو كل ما يخالف قوانين الفيزياء وخصائصها. أتذكر زفاف جارنا، كنا نرقص على نغمات أحيديوس، و كان هناك رجل يجذب بيننا، أه لم

يتوقف عن الرقص والناس من حولنا يهمسون: "إنه مسكون لا
يجب أن تتوقف الموسيقى حتى يخرج ما بداخله."
أذن المغرب، فذهب كل منا إلى منزله. وجدت جارتنا فاطمة
تحكي قصتها مع كاهنة. ألقىت التحية مبتسما وقلت:
- يوم سحر بامتياز .

جلست بالقرب منها وزوجة عمي محمد جالسة قرب الفرن.
قالت مايا:

- لما دخلت عند الكاهنة أخبرتني بأني أعاني من التعب و
الإرهاق دون سبب و صداع دائم وضيق نفس وضيق الحال في
الرزق ومعاناة مستمرة لا تنتهي ومشاكل عائلية .
انهبرت في كل ذلك، كان بداخلي مجموعة من الأسئلة المحيرة.
سألها قائلاً:

- ما الحل؟!

ردت علي:

- أعطتني عشبه من الزنجبيل.

انهبرت حقاً، فسألتها:

- وأين ما قال الله في هذا؟!

أجابتنني:

- لا يا أبنّي، أنا ذهبت قصد أن أعالج نفسي.

أردت أن أعرف المقابل، سألتها:

- كانت كاهنة ذكية، كم أخذت منك في المقابل؟

فردت علي أنها أعطتها خمسون درهما مقابل هاته الخدمة.

قلت لها وانا متزعج من الأمر:

- قبس زنجبيل وقليل من الماء بخمسين درهما! والله أحببتها.

أخبرتكم بجميع المشاكل التي يمكن أن تصيب أي شخص وكذبت

عليك بأنك مسحورة وأظن أنك أخذت معلومة عن الزنجبيل.

وجدت العديد من الدراسات عن دور الزنجبيل في التخفيف من

الدوار والغثيان والقيء وآلام الرأس واضطرابات المعدة، وبهذا

يكون له دور كبير أيضا في علاج بعض الأعراض المصاحبة للحمل

وتخفيفها، كما وجدت بأن الزنجبيل يستخدم كمهدئ ومخفف

للألم وله دور في علاج الصداع النصفي. كما يساعد في محاربة

الالتهابات في الجسم التي قد تكون السبب وراء الإصابة بالعديد

من الآلام. مجرد تفاهة، قليل من الرياضة والعمل من أجل المال

والابتسامة ستنتهي المشاكل.

غدا حصتان من الفيزياء، قصدت محفظتي لكي أنجز بعض

من تمارين درس النووي، مباشرة بعد الانتهاء وضعت رأسي

على وسادتي فبدأت أفكاري تتجمع. تذكرت عنوان الدرس بعدها
قادني إلى 13 فبراير رقان..

تجارب نووية في صحراء الجزائر.
دخل الأستاذ مبتسما:

- مثلث الرعب الذي تختفي عنده السفن والطائرات
والبشر، بالتأكيد سمعتم عن منطقة تدعى مثلث برمودا أو مثلث
الرعب، أكثر الأماكن خطورة على هذا الكوكب. فما هو هذا المثلث
وأين يقع وكيف تم حل لغزه؟
أجاب أحد زملائي:

- أعتقد أن السبب الوحيد هو اختلاف موجة الجاذبية
وقوتها في تلك النقطة من الأرض بسبب التقاء تيارات مائية
تنجرف بقوة الجاذبية التي تخلق تيارات هوائية بقوة الجاذبية مما
يشكل بيئة مختلفة عن الطبيعة الأرضية وهي تصل لهذه المراحل
بانقطاع متكررة في اليوم أو الشهر أو السنة والله أعلم.
أجاب زميل آخر:

- ربما يكون السبب هو غاز الميثان كونه يقلل من كثافة الماء
إذ يملك الماء الكثافة الأعلى من بين جميع السوائل وغاز الميثان
هو غاز سام جدا وسريع الإشتعال ويمكنه إزاحة الماء باتجاهات

مختلفة بسبب فرقعته القوية فيخرج من الماء بشكل سريع جداً محرراً نفسه في السماء ونحن نعلم أن الغاز ينتشر بصورة غازية أي ينتشر بصورة عشوائية فيكون غيوماً كثيفة وسامة وخطرة، وبالتالي تكون هذه الغيوم حاملة نوعين من الشحنات الكهربائية (الموجبة والسالبة) على أطرافها. وعند تحليق الطائرات داخل هذه الغيوم تنتج اهتزازات فتتقارب هذه الشحنات مع بعضها بفعل صوت الطائرة مكونة قوة مغناطيسية قوية جداً لا يستطيع أحد الفرار منها حتى وإن كانت طائرة وأنا أقول، والله أعلم، أن هذا هو السبب. كما كنت قد قرأت أن البوصلة قد لا تسيطر على نفسها في مثلث برمودا أي لا تستطيع معرفة الاتجاه والسبب راجع لوجود القوة المغناطيسية العظمى في ذلك المثلث و التي تعمل على دوران البوصلة وعدم توقفها.

أجابت زميلة قائلة:

- مثلث برمودا الشهير هو لغز البشرية من بدايته لأخره، ربما يكون سر من أسرار الكون التي لا يعلمها إلا الله، لكن هناك شيء لافت للنظر، كيف أن كل ما يدخل هذا الحقل يختفي وخاصة الإنسان، فقد تم العثور على بقايا السفن وأشياء أخرى، لكن لا

وجود للإنسان. والمحير أنه حقل تعيش فيه الأسماك وكائنات حية أخرى لا نعلمها، يبقى لغز مرتبط بالإنسان وهذا هو أكبر...

قاطع الأستاذ المناقشة:

- لا وقت لنا للمناقشة الآن، أخرجوا دفاتركم ولنبدأ بكتابة

الدرس.

انتهت حصة الفيزياء، بعدها مباشرة التحقنا بحصة اللغة العربية، كانت ملامح وجه الأستاذ مختلفة عن المعتاد، فجأة رن هاتفه، أجاب بصوت مرتفع:

- لا تتصلي بي الآن، أنا أعمل، لا وقت لي للكلام.

أنهى المكالمة ثم وضع الهاتف على المكتب، بعدها بدأ بإملاء

الدرس، والجميع يكتب.

انتهت الحصة، عدت إلى المنزل ولم أجد أحدا، حضرت الفطور وفجأة دخلت زوجة عمي محمد و معها فاطمة جارتنا، ألقنا التحية من بعيد ثم سمعت فاطمة تقول:

- إنه راق جيد، مشاء الله.

قالت زوجة عمي:

- والله انبهرت عندما أخرج الجن من تلك الفتاة، وأخبرها أنه

رحل.

أنا أتساءل في صمت منبها، هل الجن يدخل أو يمس؟

أكملت فاطمة كلامها:

- وتلك المرأة كان زوجها لا يحبها فشربت من ذلك الماء فصار

لا يفارقها أبدا ويعاملها كملكة، فقط مقابل 20 درهم.

راودتني أسئلة أخرى بيني وبين نفسي، هل القرآن يباع؟ هل

في باقي الديانات اعتقاد بوجود الجن كيف يخرجونه؟ هل

باستخدام قرآننا أم الإنجيل أم بكتب أخرى من ديانة غير سماوية

أم بطقوس أخرى؟ كيف استحضر هذا الجن! أريد طرح بعض

الأسئلة عليه. قرأت كتاب شمس المعارف و شمس الأنوار،

سكبت الماء الساخن، أنا مجنون حقا. كيف للماء أن يفعل ذلك!

أليس البول أقبح منه؟! أظن أن الجن لا يحبوني. الحوار قد

أشبعني، لم أتناول فطوري.

أخذت قسطا من الراحة. فجأة رن هاتفي، إنه يوسف ذو

الصوت الخشن. أجبت مباشرة:

- المقهى؟

أجابني:

- نعم نعم، قد اشتقت إلى أفكارك.

أجبتة مازحا:

- سأجذك هناك عند صاحبة العيون العسلية، تلك التي
أبحر في عينها.

رد علي:

- نعم، إن شاء الله.

عند وصولي المقهى لوح لي بيده، ألقى التحية عليه وعلى
عبد الرحيم زميله في الجامعة ثم جلست بجانبه.

قال لي وهو يبتسم:

- اشتقت لك أيها القرد.

أعجبني الموضوع فأردت أن نناقشه جماعة، قلت له:

- وما الفرق بيننا وبينه!

أجابني:

- التطور السريع و نظرية داروين التي تقول أن أصلنا منه.

تدخل زميله في الكلام:

- سؤال مهم جدا، إذا كان أصل الإنسان قردا فتطور ليصبح

إنسانا، فلماذا لم تتطور باقي القرود! وظلت على حالها؟! وإن كان

أصله قردا فما أصل القرد! هل ضفدع مثلا؟

أجبت مبتسما:

- أظن أن القرد أصله إنسان والدليل على ذلك أصحاب السبت.

تدخل شخص من خلفي:

- بالطبع، فنظرية التطور صحيحة لكنها تأقلم فقط وليس تطور أي أن هناك حد فاصل بين الأنواع يعني يمكن لسمكة أن تتطور لكنها ستبقى دائما سمكة وستعيش دائما في الماء، يمكن أن تغير لونها أو تطور مناعتها أو مقاومتها لكنها ستضل دائما سمكة. أما مسألة أن يشتق نوع من نوع آخر، فليس هناك أي دليل ملموس ونظرية لا تكذب إلا بدليل علمي أحق عليها النظرية هي مجموعة من الحسابات والحقائق المنطقية وأيضا قد لم يكن يقصد داروين ما ندعيه نحن الآن.

أتم حديثه، بعد أن اخذ قبلة من دخانه :

- و كما قال تعالى في سورة الطارق: " فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ، خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ، يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ (7) إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ". أي أن كل واحد منا شارك في سباق يخوضه الملايين والفائز منا يأخذ جزاءه وهو أن يأتي لهذه الحياة، وكوكب الأرض هدية لنا، حيوانا أو بشرا. وفي نظري، البشر والحيوان لا فرق بينهم سوى أن الإنسان سريع التطور على باقي الكائنات

الأخرى، التفكير ن فكر كلنا، الكلب لن يعظ صاحبه ويعرف
المخرج كما أننا جميعا نميز فالقط أيضا يعرف صاحبه. إذا
جميعنا نتواصل فقط كل جنس ولغته الخاصة.

علقت على كلامه قائلا:

- الإنسان أيضا دون فنون وحدود تسيره مثل الدين
والقانون والعرف سيميل إلى طبعه الشرير أو طبعه الحيواني .

قال الرجل من خلفي:

- نحن فقط نضع حقائق وهمية تشبع نيران وتعطش عقلنا.

تدخل يوسف قائلا:

- وما رأيكم في المسير أو المخير؟!

أجابه زميله:

- مسير طبعاً، أهواء الدنيا ابتزاز مغريات الحياة، لنا غرائزنا،
هرولتنا نحو المادة، كلها عوامل تجعلنا غير قادرين على السيطرة
أو على تجريد عقلنا من العوامل المحيطة بنا فبالتالي نحن لا خيار
لنا إنما نسير وفق العوامل والظروف المحيطة بنا.

أجاب الرجل من خلفي:

- بالطبع الإنسان مخير، يمكنك أن تنتحر كما يمكنك أن

تستمر في الحياة.

قاطعت كلامهم و تحدثت بصوت منخفض لكي أستقرب

سمعهم:

- هناك صانع لقارورة في داخلها طرق، كل طريق يؤدي إلى شيء وتلك الأشياء معروفة، وبجانب كل طريق أشخاص، كل واحد يملك عقلا يفكر، هناك طرق تؤدي إلى الهلاك، وهناك طرق تؤدي إلى النجاة، أي أن القارورة والطرق وتلك الأشياء مسيرة. فمثلا نعرف إذا انتحرننا سنموت أو إذا خرجنا بدون ملابس سنمرض، فهاته الأمور مسيرة والأشخاص و العقل مخيرون فيهم، نعرف ما نختاره، هذا ما أعتقد.

قاطعي يوسف:

- ولكن كما قال إينشتاين: "إن الله لا يلعب النرد". أي أن الله

لم يخلقنا ليعذبنا و يبتلينا.

أجاب الرجل من خلفي وهو يلحن قوله:

- حرب حاد بين عقلي وقلبي فكل ينظر إلى الأمور عكس

الآخر، فالقلب يريد ما غامرة بالمشاعر والعقل يراها سوى منطق

ورزاة، وكل منهما بداخلي يخلقان الضجيج والتعب، أظنهما

الشرير وأنا النرد.

أتممت على وتياراته:

- وإن بعض الظن إثم، إن كان أنا الحق كيف للغير
مصيره؟ وإن كان هو الحق كيف مصيري؟ وكيف للشر أن ينتصر
ويفوز؟ وكيف البلاء والضر والحزن والفقر أن يختارني؟ أعلم
فقط أنني لم أكتب كتابي.

سارة تقف أمامي، بتلعثم طلبت شايا وقلت:

- هل أنت وهم أم حقيقة؟

استدرت نحو يوسف، قلت له:

- تبا لمن قال إن الإنسان قرد ألم يكن يرى هذا؟!

أجابني زميله:

- الوهم والحقيقة، هذا جميل ما رأيكم فيه؟!

أجبتة :

- نحن نجهل أصل الإنسان و ظهور الكون، فقط كل يعطي
نظرية علمية أو دينية ويحاول أن يشبع فلسفته الخاصة، كما أن
بعض العلوم بدأت بتخيل وبناء حقائق على وهم، يزخرفها العلماء
بمنطقهم حتى تصبح منطقية. شخصيا، أظن أن الحقيقة هي ما
وراء الموت.

سألني رجل من خلفي:

- ما الفرق بين النفس والروح؟!

أجبتة قائلاً :

- كلاهما إعجاز ولكن الله عز وجل ذكر في كتابه أن النفس هي التي تموت وأن الروح هي التي تبعت بذكره تعالى: "كل نفس ذائقة الموت" وقوله تعالى أيضا في سورة أخرى "ويسألونك عن الروح، قل الروح من أمر ربي" وجعلها إعجازا علميا.

رن هاتفي فأخرجني من ضجيج أفكاري، إنه عي محمد يريدني أن آتي إليه لكي أوصل بعض الأغراض إلى المنزل وأخبرني بأن إختوتي آتون. تغيرت ملامح وجهي، ضجيج الأطفال والانضباط والجدية و أغراضى ستتخطم، يأجوج ومأجوج وقبيلتهم آتون.

أوصلت الأغراض للمنزل، فجلست أنا وأخي الصغير نقرأ قصة للصغار، عي محمد وزوجته ينصتون إلى الأخبار وهو يتلعثم وبصعوبة وبصوته الصغير:

- الأمر لم يكن يتطلب شيئا سوى أن تتخطى الأمر المربع الخطير السيئ دون تفكير والعيش في وهم سعيد والوهم حقيقة والحياة مرت و مازالت تمر على مثلك وغيرك لا تحاول أن تعاكسها وتحاول اللعب.

يكررها مرة تلو الأخرى متلعثما، وأنا أتسأول هل هذا مرض (ديسلوكسيا) أم عدم الاستيعاب أم ماذا؟!

فجأة سمعنا صوت الباب يفتح، ارتسمت على وجه الكل ابتسامة عريضة تحمل بين ثناياها مشاعر الاشتياق والحب وإذا بصوت سعد ومايا يخترق قلوبنا، وأخي الأكبر عمر وزوجته عائشة، وأخي المتوسط بدر وزوجته لمياء يدخلون المنزل فرحين.

ألقيت التحية عليهم، من خلفي مايا و أمامي سعد وبجانبي عائشة مع زوجة عمي تتحدثان وعمر يتحدث مع بدر وعمي ولمياء تداعب أخي الصغير. رأسي سينفجر. حاولت أن أتسلل للمطبخ حتى يأخذ الكل مكانه، بعد لحظة دخلت الغرفة جلست بجانب زوجة عمي أستمع لحواراتهم التافهة، كانوا يتحدثون عن منزلهم وأحوالهم. لم أستطع المكوث أكثر، حاولت أن أتسلل إلى غرفتي. بعد لحاضت فقط نجحت في التسلل، قصدت وسادتي ثم انشغلت بخيالي محاولا النوم.

استيقظت على صوت أحدهم يهمل في الزقاق، أظن أنه ذلك الأحمق الذي رأيته من قبل، أظن أنه في حالة سكر. يقول وهو يصرخ:

- قف وأوقف الوقت، سترى أنني أنا وأنت من تراب أو قرد. لا نعلم، أو ربما من عدم أو فقط من وهم. سترى أنني أنا وأنت نجري

من أجل شيء أصله ومنبعه أظن أيضا أنه عدم و وهم فيه نسمات حقيقة.

فتحت النافذة فوجدته يحمل خمرا بيده.أتمم كلامه بعد أن قبل قارورته:

- أنا الرديء السافل السفية الشرير الفاجر القبيح ألثيم المعيب. أنا الخطأ، أنا السبب لا الشيطان الخناس الشرير، لا عفريت ولا عين ولا نحس ولا أعوام اعلم ان الله لا يغير آخر، سَوَى، مُخَالَفٍ حتى يغير ما بداخلي.

ضحيج سعد و مايا من الأسفل، أضن أنهم تناولوا الفطور جميعهم، أدعو الله أن أجد لقمتي. ذهبت مسرعا إلى الحمام ثم نزلت إلى الأسفل. ألقىت عليهم التحية وجلست بجانب بدر وأمامي عمر في وجهه يظهر القلق، لا أعلم ماذا حدث. بدأت بتناول ما تبقى من الفطور. دخلت عائشة على وجهها آثار الدموع والقلق، استنتجت أنهما بدءا خصامهما المعتاد.

هدوء غريب، أسئلة تدور في عقلي، ماذا حدث؟! وما السبب؟! قاطعت لمياء أفكاري، قالت مبتسمة كعادتها:

- كيف حالك مع الحياة وكيف حالك مع الدراسة؟
أجبتها:

- في معجمي، الحياة و الدراسة مترادفان لا ينتهيان حتى
أموت.

قالت وهي تضحك:

- بالتوفيق إن شاء الله.

بدر بجانبني يضرب على كتفي ويقول بتشأؤمه:

- أظن أنك تتصنع الذكاء يا أخي.

قاطع الهاتف كلامنا الممل برنينه المزعج، كان يوسف هو
المتصل، كنت أعلم أنه سيخبرني بأن نذهب إلى المقهى
المجاور، أجبته واتفقنا على المكان.

دخلت المقهى، جلست بجانبه بعد أن ألقىت التحية.

سألني:

- ما بك؟ وجهك شاحب قد غزت لمسات القلق جبينك؟!

أجبتة قائلاً:

- الاستيقاظ على الضجيج، الاستيقاظ على قلق أخي وزوجته

والنظر إلى وجهك الجميل.

أجابني وهو يضحك:

- تبا كم أنت ذكي.

أتى إلينا رجل وهو يقول:

- ماذا تشرّبون؟! -

لم أتردد سألته:

- صاحبة عيون الغزال ياسمين هل إستقالت من العمل أم

تزوجت لم أرها اليوم هنا؟! -

أجابني بنبرة حزينة:

- للأسف، حادثة سير أنهت عمرها.

تفكير مشوش، أفكار غريبة وغير منطقية. أسمع صوتها،

أراها وأحس بوجودها. تركيزي ذهب، ضاق صدري. أشعر برغبة في

الإنعزال، أشعر بالحزن والتوتر والآنزعاج، أريد أن أبقى وحيدا.

عيني تفيض بالدموع، لا أعرف، لا أحس، الكل من حولي ضباب.

نهضت من الكرسي ثم خرجت أتمشى دون أن أعرف إلى أين. يوم

معكر من صباحه، فكرت في موتها، لا أستطيع أن أصدق

هذا. عدت إلى المنزل، وأنا صاعد في السلالم سمعت صراخ أخي

عمر وزوجته، كثرة الخلافات على أتفه الأشياء. تذكرت بن عمي

محمد والذي كان دائما يعيش المشاكل مع زوجته وأمه والتي كانت

نهايتهما الطلاق. بدأت عائشة بجمع أغراضها، أظن أنها تريد

الرحيل. عمي وزوجته يطلبانها بالبقاء، يقبلان رأسها ويلومان أخي.

- أهذا زواج أم ماذا؟! أنتما لديكما طفلان وتفعلان هذا دائما!

لم تأخذ عائشة بكلام عي محمد وزوجته، تابعت جمع أغراضها وطلبت عي أن يوصلها الى بيت أهلها. وهو يحاول تهدئتها:
- يا بنتي، غدا إن شاء الله سنذهب، الوقت قد تأخر الآن، من فضلك.

لازالت عائشة مصرة على الذهاب:

- إذا سأذهب وحدي، كفاني عذابا مع هذا الرجل.
لم يعرف عي ماذا يقول، أخذها وأبنيها إلى بيت أهلها وعاد يصرخ في وجه أخي.

- ما بك؟! ما هذا؟! ما الذي يحدث؟!

أجابه أخي وهو يصرخ:

- دائما تصرخ في وجهي وتشك في أي شيء ولا تهتم بالأطفال بشكل جيد.

أراد عي تهدئه:

- غدا سنذهب و ستعتذر لها سيذهب معنا بدر.

تقبل أخي الأمر:

- إن شاء الله.

الطاقة السلبية والتوتر والقلق يحيط بي سأحاول أن أستعين ببعض من أفكارى لكي أتخلص منها. أخذت الشاي الأخضر ثم استلقيت كي أنام قليلا رغم أنني أحترق على فقدان اللطف والجمال، على فقدان ياسمين اللطيفة اللهم ارحمها يا الله. رن المنبه، نهضت واستعددت لكي أقوم بالرياضة. بدر و لمياء مازالا نائمان. حاولت أن أرتدي ملابسى بهدوء كي لا أوقظهما. كانت زوجة عيى مستيقظة تعد الفطور فى المطبخ، وعيى وعمر يستعدان لأن يعيدا عائشة للمنزل. عدت من حصّة الرياضة، استحممت ثم ذهبت لتناول الفطور. جلست معهم على المائدة، وجدتهم يتناقشون، أظنهم يتحدثون عن الطلاق، عائشة لا تريد أن تعود لزوجها. أول إفادة استنفدتها من إخوتى هي أن الاحترام بين شخصين هو أساس وسر طول العلاقة. انتهت مدة زيارتهم سيرحلون، بدر وعمر و لمياء إلى مدينة طنجة والمعروفة بجمالها ونقاؤها وكثافتها وموقعها العظيم شمالا لمغرب. يجمعون أغراضهم لكي يرحلوا صباحا، حاولت أن أذهب وأتجاهلهم لأننى أعلم حوارهم سيكون حول عائشة. قصدت وسادتي وشغلت الراديو. وبصوت مصحوب بخشخشة:

- موضوعنا اليوم عن الامتحانات وكيف يمكن أن نساعد
أبناءنا في هذه الفترة الصعبة؟
ذكر المذيع عدة معلومات مفيدة سأحتاجها عندما يصبح
لدي أطفال. شغلت موسيقى هادئة وبدأت أفكر في وجودي، هل
هو حقيقة أم وهم!!

تذكرت فتاة جميلة وأردت أن أرسلها فغازلتها بكلمات. ثم
اكتشفت أن ذلك فقط قاسم مشترك بيني وبين الحيوان، ألبى
شهواتي وغرائزي وبعد رعشة أصبح صلبا متغلبا على النفس
الخبیثة بداخلي عاد صوت الرجل الأحمق يهلل ويقاطع أفكاري،
يقول:

- مع هدوء الليل أغازل أفكاري، هي أفكار أغازل كل ما فيها
ولي عذري إذا كنت بها مفتون. تخبرني بوحدي وأنا طيب القلب،
لماذا لا يشتاقون مثلنا! ألا يوجد في مدينتهم ليل؟ ألسنا نحن
الشمس والنور المنبثق! بعدها انطفأنا ولم يبق شيء يكتب. مثل
بارود مبلل بالماء، ولا تفلح فيه عيدان الثقاب... فأصبح الكل نورا
في الظلام كالنجوم في الليل. وما عيني إلا قمر يراقب، تارة يظهر
وتارة يختفي، كالموت، كالولادة.

قررت أن أتحدث إليه يوما ما، إنه يتقن الكلام، أظنه مثلي، يؤمن بالوهم والعدم. أغلقت النافذة وعدت إلى سريري. يوم جديد، ابتسامة جديدة، لا زالت الحياة تحبني. هذا الصباح لدي حصة فيزياء وحصة اللغة العربية، أظن أنني سأكبر قليلا، و سأضيف معلومات جديدة وتجارب لحياتي. استيقظت اليوم باكرا، شعور جميل، كأنني ولدت من جديد. السادسة صباحا ما زالت هناك ساعتان لتبدأ حصة الفيزياء. قضيت الساعة الأولى في التفكير في مخيلتي وبعض النقاشات الداخلية و الساعة الثانية قمت إلى الصلاة ورتبت أغراضي. وصلت للمؤسسة قبل عشر دقائق. وجدت أمامها بعضا من زملائي يتناقشون. حاولت أن أشارك معهم في النقاش. قال أحدهم يسمي زكرياء:

- تراودني أسئلة تدور في رأسي و لا يجب أن أكبحها.

رد عليه زميل آخر:

- إذا كان الخالق سبحانه يعلم الغيب، ويعلم ماذا سيفعل الناس، ويعلم من سيذهب إلى النار، ومن سيذهب إلى الجنة ، حيث إن علم الله سبق كل شيء، فلماذا خَلَقْنَا أصلا!؟

أستغفر بعضهم وزوق البعض الآخر آراءه، لم يلتقط سمعي إلا قليلا من الإجابات المقنعة وبعض من الطلاب أنسحب من النقاش. قالت زميلتي نزهة :

- هذا هو سوء الظن بالله عز وجل، كيف يكون خلقنا ليعذبنا وهو من جعل السيئة سيئة واحدة وجعل الحسنه بعشر أمثالها. كيف يريد الله بنا السوء وهو الذي جعل السيئة تكتب بعد ست ساعات من اقترافها لعل العبد يرجع عن ذنبه ويستغفر ويتوب فتمحى. كيف يريد بنا سوءا وهو اللطيف الكريم. حاشا لله أن يريد بعباده سوء "وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم". قاطعتها صديقتها قائلة:

- ولم لا نقول بأنه خلقنا ليدخل الجنة من يستحقها ويدخل النار من يستحقها، ولأجل أن تستحق الجنة "واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور" وكل ما في الدنيا بلاء وفرح وأن بعد العسر يسرا.

تدخل زميل آخر قائلا:

- إخوتي عندما يعبر شخص هكذا عن مشاعره أرجوكم لا تعاتبوه ولا تجرحوا مشاعره، فما أدراكم ربما كان رصيده عند خالقه أفضل وأكبر من رصيدنا جميعا. أرجوكم بدلا من ذلك

انصحوه فالإسلام ليس شتما ولا لعنة. وكونه يفضفض أفضل من أن تتحول هذه الطاقة السلبية بداخله إلى عدوان نحو الذات أو الآخر. ربما يعاني من أعراض اكتئاب والله سبحانه وتعالى يقول "ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة" ويقول سبحانه "ليس على المريض حرج" ويقول تعالى ليعطينا درسا في الرفق "ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك" وهذا تدخل البسيط، شكرا على حسن الإنصات.

ألقى زكرياء سؤالاً وهو منمهر من كثرة الآراء و بصوت خفيف و بابتسامة خفيفة على وجهه قال:

- يا أحبتي، لم أقل إني كافر أو لا أؤمن أو شيء من هذا القبلي، أنا فكرت وببساطة في شيء نفكر به جميعا وإن حاول البعض التهرب منه. إن أول عبادة قبل الصلاة والصوم هي معرفة الله. لم يكمل حديثه حتى رن جرس المدرسة، تفرق الكل إلى قسمه.

ساعتان في حصة الفيزياء، ساعة للدرس وساعة لتدوين المعلومات عن الكهرباء.

طرح سؤال من طرف علي ونحن ندون:

- هل الأرض مسطحة أو كروية؟

ألقت الأستاذ إليه بنظرات فخر تدل على أنه حبد السؤال
مثل أغلبنا، لم نتمم تدوين الدرس. أقرب منه الأستاذ:
- هل بحثت قليلا؟

أجابه علي:

- نعم أرى أن الحجج الدينية والعلمية تتناقض فيما بينها،
فمثلا حقائق قرآنية لقوله سبحانه وتعالى ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ
ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ وآيات فتأتي لتفسير تجد حجج وتأويل آخر لبعض
لكلمات كل احد يثبت أفكاره بشيء اكتفى المفسرون على اختلاف
توجهاتهم وتباين مناهجهم بالشعر. وقاموا بتوظيفه في تفسير
النص القرآني الكريم وكشف ما فيه من غريب الألفاظ وغامض
المعاني. فالقرآن نزل بلسان عربي مبين أجاب أحد من زملاء
باستهزاء - كيف لأربع سنوات من الميكانيك وتجاذب لكوني
وقوانين نيوتن.

فسأل الأستاذ القسم متجاهلا كلامه:

- هل سمعتم يوما عن الجدار الجليدي أو الحدود؟

أتت الإجابة من الخلف، مريم زميلتي وبصيغة استفهامية:

- أنتارتيكا؟

أجابها الأستاذ:

- نعم.

ردت قائلة:

- البارحة وأنا أبحث عن أماكن للسياحة في القطب الجنوبي

وجدت أحدا تكلم

على هذا الموضوع قائلا: { وجدنا في (أنتارتيكا) مساحة

(1800 ميل / 2900 كلم) غير مغطاة بالثلج من الجبال الفحمية

كافية لتزويد كل العالم بالطاقة لمدة غير معينة. (الأدميرال

ريتشارد ليبرد) وفاة الأدميرال ريتشارد أثناء نومه بسكتة قلبية 11

مارس 1957. تأسس ناسا 29 يوليو 1958. اتفاقية حدود

الجدار الجليدي أو ما يسمى بالقطب الجنوبي 23 يونيو 1961

المانعة لأي تواجد مدني في حدود الجدار الجليدي أو ما يسمى

بالقطب الجنوبي إلا تحت إشراف قوات عسكرية وأماكن محددة

للسياحة وأغراض البحث.

بدأ الكل بالاستماع وبنظرات تدل على تساؤل الأستاذ عاد إلى

مكتبه وفي طريقه يكرر كلمة (أنتارتيكا) ويلحنها. دائما ما يفعل هذا

لكي يجعلنا نبحث عن المعلومة و لكي تترسخ في أذهاننا. صوت

جميل من الباب يغريني بالتحرك بسرعة، إنه الجرس. الكل يصور

ما لم نتمم تدوينه، نعرف أنه سيبقى في هواتفنا فقط. حصة اللغة

العربية مازالت تلاحقني، جلست في الطاولة الخلفية كعادتي والأستاذ يحمل بيده كتاب مكتوب عليه (إدراك قبل حلم). اتخذ الكل مكانه وأخرجنا دفاترنا وأغراضنا، وضع كتابه على الطاولة وبدأ الدرس مباشرة.

يوم جديد، قصص جديدة، تناولت إفطاري وبعد الاستحمام وصلاة الظهر أخذت قيلولة. أيقظني عويل من الأسفل، أتساءل ما الذي يحدث! حاولت أن أسرع إلى الأسفل، فاجأتني زوجة عمي بخبر وفاة عمي عبد السلام، تحجرت عيناى واحمرت، قد أعلنت عاصفة البكاء ليغزو قلبي شعور اليأس و الحرمان. توقف الزمن وإذا بالدمعة تأبى أن تسقط لتعلن استسلامي، كنت كالجبل الذي يهده الزلزال لكنه شامخ لن يستسلم. أعلم أنه كان سندي، من صحي، مرشدي. حاولت أن أصبر نفسي بكلام كان دائما ما يقوله لي "الله يعطي و يأخذ ما يشاء ونحن لسنا سوى عباد ضعفاء أمام قدرته عز و جل " مرت أمامي ذكريات تقاسمتها معه، قد كان ذاك الصدر الحنون الذي طالما التجأت إليه في ضعفي، طالما بكيت في حضنه، ولم أخش على كبريائي، لقد كان ذاك الدرع الحامي من رصاص الأعداء، طالما علمني حكمته و أفادني بخبرته. حاولت و بصعوبة جمع شتات

عواظفي و هممت بالخروج مهرولا نحو بيته لأواسي عائلته.
 ندب، كلام منظوم بلحن الحزن والقلق، حاولت البحث عن سلمي
 لأواسيها وأنسيها شيئا من حزنها. الكل من حولي يخاطبني ويوصيني
 بالصبر:- هذه مشيئة الله، عظم الله أجركم.

الكل يعانقني و أنا لازلت تحت تأثير الصدمة وأحاول أن أجد
 سلمي كما الجميع. أخيرا عثرت عليها في غرفتها المظلمة مصدومة.
 نزلت من عيني دمعة، حاولت تهدئها، ضممتها إلي والدموع تبلل
 ثيابي، قلت لها:

- كفى، هل ستغير الدموع شيئا! إنه القدر، لندعو له

بالرحمة.

يدها حول ظهري والدموع لا تريد أن تتوقف، لم أستطع أن
 أصبر وبدأت عيني تفيض بالبكاء. عمي محمد والجيران تكلفوا
 بجنازته أما أنا وسلمي حاولنا الخروج من تلك الأجواء، أخضتها إلى
 مكان بعيد. كان غروب الشمس وشيكا، حاولت أن أخفف عنها
 بكلمات وحوارات. هاتفيها يرن، كان عمي محمد هو المتصل، أخبرها
 أن الناس يريدون التحدث معها، عدنا مستعدين لتلك الكلمات
 المحفوظة المتكررة.

في الصباح ألقى التحية على سلى وحاولت أن أرتب أفكارها، هربت من تلك الأجواء، عدت إلى غرفتي، قليلا من الخمر قد يهدئي. حاولت أن أنسى لكن بلا جدوى، إستمررت في الشرب حتى آخر الليل، أخذت بعض الأغراض إلى منزل سلى قد يحتاجونها. الجارات في المطبخ يطبخن العشاء للناس، أخذت منهم قليلا من اللحم وضعته في خبز من أجل سلى، فهي لم تأكل شيئا. كانت منهكة و وجهها شاحب، حاولت أن أجلس إلى جانبها قليلا حتى تأكل، وبكلمات وابتسامة حاولت أن أخفف عنها حزنها. عند انتهائها قصدت غرفتي. أخذت الحمام بعدها حاولت النوم، فقد كنت تعباً جداً. أحلام مرعبة، حادثة سير مات فيها أبي وأمي، الناس يشفقون عني، أخي الصغير يبكي والكل من حولي ومن خلفي الرجل الأحمق يرقص. أدركت أنه مجرد كابوس يراودني في منامي. استيقظت ورأسي يؤلمني، أردت أن أذهب إلى المقهى، قد يكون هادئا، كان هناك واحد فقط وهو مقهى الإيديولوجيات المتكررة. وجدت في طريقي ذلك الأحمق، قررت أن أخذه معي، ملابسه عادية سيسمحون له بالدخول معي للمقهى. لم يقبل طلبي في البداية، لكنني أقنعتة. جلست بجانبه وحاولت أن أتحدث معه عن نفسه. أخبرني أنه كان معلما وغنيا ويلقي دروسا غبية

تخالف المقرر، فتم فصله وحكي لي عن مشاكل زواجه. لم يتعمق فيها، فقط كان ينصحي أن الاحترام هو أساس الاستمرار في الزواج وعدمه يساهم في فشل مؤسسة الزواج كما أخبرني بأن أساس التطور والتقدم هو المناخ. قال إن الدول الأوروبية كانت تهرب من الموت حتى صنعت ما لم يصنع أصحاب المال. أخبرته عن الحلم وما حدث لي، فقال:

- الكل من حولك وسيلة لكي تكون، لا تحاول التعلق.

أجبتة في دهشة:

- هل يمكنك أن تفسر أكثر يا عبي.

قال لي مبتسما:

- أبوك وأمك مجرد إخصاب لكي تكون، أشخاص يحيطون

بك من أجل أن تتطور، وأنت خلقت من أجلي لكي تعطيني نقودا

كي أكل. حاول أن تضع الكل مثل سلم، تصعد درجا وتعبّر إلى درج

آخر، هناك درجا قد تجرحك و لكن حتى هي خلقت لكي تكون أنت.

قلت له:

- سمعتك تروي شيئا هذه الأيام.

رد علي:

- الكل يضع رحاله في الأرض ويحبها كأنه خطط لكي يأتي لها أصلا، الكل يأكل الكل.
- أجبتة مندهشا من كلامه:
- أنا الغبي، أنا الأحمق. أنت تتميز بتعيرية الواقع فقط.
- قال بصوت مرتفع:
- ذكائك لتعيش و غباءك لتتعايش وما بين الذكاء والغباء تتعب حقا، إذا عش مثلي وتبا للجميع.
- وأنا أحاول تهديته جاءت نادلة المقهى:
- ماذا ستشربون سيدي؟
- نطق:
- هل لديكم خمر؟
- خجلت منها فقلت:
- إنه يمزح فقط، أعتذر منك. كوبين من القهوة من فضلك.
- أتمم حديثه:
- حاول أن تمارس حياتك لا تعيشها.
- سألته محاولا فهم الفكرة:
- كيف ذلك؟!
- أجابني قائلا:

- الأفكار تتكرر كأن الله خلقنا أفواجا، كل فوج يفكر بنفس الأفكار. حاول أن تأخذ الأمور بشكل عادي. حاول أن تستعمل الأمبالاة في مواضيعك. إن الحياة لا تتكرر، نحن من نتكرر، إذا علينا أن نقبل بشروطها.

أفكاره مشتتة، لكن المعنى قد وصلني.

ثم أضاف:

- كن إنسانا لا بشرا.

سألته مبتسما:

- ما الفرق؟!

أجابني:

- البشر هو الكل بدو فيل و مثلين أيضا يحتوي على الإنسان.

حاولت فهم الفكرة، ثم طرحت عليه سؤالاً آخر:

- ما الأصل! من نكون!

أجابني وهو ينظر إلى الأعلى:

- وضع مكان يجرب فيه خلقه الخبيث عن طريق شيء خفي ويتحكم في تعطيله و استمرارية عيشه. عندما ندرك إدراك أكبر من إدراك الواقع كحلم الذي حلمت بيه عندما رأيت عندما

كنت أرقص في الموت، سنعرف الحقيقة، لا أحتاج الخمر و لا الحوار. سأذهب و أسأل من أنا و لماذا أنا .
خرج يركض وأنا ألحقه من الخلف فاصطدمت
بشاحنة، قفزت من على الأريكة ثم أدركت أنني كنت أحلم وعلمت
أنه سيصيبي إدراك سيظهر أن الحقيقة مجرد وهم.



یومیان عالی هامش الکلم